[176] الجهل (ورداها) أي هلاكها من ردى الدابة في البئر إذا سقط فيها، أو من ردى فلان في الأرض إذا ذهب وتاه فيها، أو من ردي فلان بالكسر يردى رديا إذا هلك، وفيه إشارة إلى شيئين أحدهما أن القلوب يعني النفوس البشرية كانت في مبدء الفطرة جاهلة للمعارف الإلهية، غافلة عن الأنوار الربانية، هالكة ساكنة في تيه الجهالة قابلة لنور الهداية وظلمة الغواية. كما يظهر ذلك لمن تفكر في أطوار الإيجاد والتكوين فإنه يعلم أنها كانت صورا جمادية، ثم صارت صورا نباتية، ثم صارت صورا حيوانية، ثم صارت بتلك الاستحالات صورا إنسانية مستعدة للخير والشر قابلة للهداية والضلالة، ثم حصلت لها بالترقيات الإلهية والتوفيقات الربانية كما يرشد إليه قوله " بعد إذ هديتنا " جملة من العلوم وزمرة من المعارف ونبذة من الأحوال والأعمال فخرجت بذلك من حد النقص على الاطلاق في قوتي العلم والعمل إلى مرتبة الكمال، الثاني أن هذه المرتبة ليست لازمة للنفس ثابتة لها غير منفكة عنها لأن النفس الحرون قد تقف من الجري في ميدان العلم والعمل، بل ترجع القهقرى إلى حالتها الاولى، وسر ذلك أنها ما دامت في الدنيا متعلقة بهذا البدن مائلة إلى الهوى ودواعي الشيطان ذاكرة لأصناف الباطل وأنواع العصيان فربما تأخذ يد الشقاوة زمامها وتسوقها إلى ما هو مطلبها ومرامها، وتجذبها عما هي عليه من العلوم والأعمال الصالحة وتوردها في تيه الجهالة والضلالة، وقد روى أبو بصير وغيره قال: قال الصادق (عليه السلام): " إن القلب ليكون الساعة من الليل والنهار ما فيه كفر ولا إيمان كالثوب الخلق، قال ثم قال لي: أما تجد ذلك من نفسك، قال: ثم تكون النكتة من ا في القلب بما شاء من كفر ولا إيمان " (1) ولذلك خاف الصالحون ووجل المتقون وطلبوا بالتضرع والابتهال حسن العاقبة بقولهم * (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) * والأدعية المأثورة في هذا الباب أكثر من أن تحصى، ولما بين أن بقاء النفس على كمالها العملي والعلمي ما دامت في الدنيا ومسكن الشياطين غير لازم، بل ربما تعود إلى عماها ورداها وتترك العمل وتنسى العلم والآخرة أراد أن يبين ذلك فيمن لم يكن قلبه مستضيئا بنور ا وعقله مهتديا بهداية ا ولم يأخذ علمه من ا تعالى إما بلا واسطة كالأنبياء والرسل أو بواسطة كالمتمسكين بذيل عصمتهم والراجعين في كيفية العمل والعلم إلى معدن طهارتهم فأشار إلى الأول بقوله (إنه لم يخف ا من لم يعقل عن ا) لأن من لم يكن علمه بذات ا وصفاته وشرائعه وأركان الاعمال وشرائطها وأحوال الآخرة مستندا إلى ا تعالى بأحد الوجهين المذكورين كان علمه إما تقليدا محضا كما في أكثر العوام وإما رأيا وقياسا كما في أكثر الناس وإما ظنا

_____ 1 - رواه الكليني في الكافي في كتاب الايمان والكفر باب سهو القلب تحت رقم 1. (*) _____